﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: 73 - 76]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

سيُكمل المكذِّبون جدالَهم في نارِ جهنَّمَ لتتضاعفَ الحسرات

لمّا توعَّدت الآياتُ السّابقةُ المكذِّبين بالكتاب وبما أرسَلَ الله تعالى به الرُّسُل الكرام – عليهم أفضل الصّلاة والسَّلام – الَّذين يجادلون في آيات الله سبحانه؛ توعَّدتهم بجَرِّهم بالسَّلاسلِ في الحميم وقد غُلَّت أعناقهم بالأغلال، وبِسَجّر النّيران في أجسامهم؛ ناسَبَ ذلك ذكرُ تتمَّةِ الجدالِ الَّذي بدأ في الدُّنيا، الممزوجِ بعذاب الآخرة المعنويِّ، فتُكمل الآياتُ حكايةَ عذابهم، وأنَّهم يواجَهون بسؤالٍ يَزيدهم حسرةً وندامة، ويُذَكِّرهم بمعبوداتهم الباطلة الَّتي عبدوها في الدّنيا؛ هل وجدوها يومَئذٍ كما كانوا يحسبون أنَّها ستُغني عنهم شيئًا؟ وجاءت إجابتهم بفقدانها، والاعترافِ بخطئهم في عبادتها؛ فيؤمرون بدخولِ أبواب جهنَّمَ؛ جزاءً لِرضاهم وسعادتهم في الدّنيا بها، وتكبُّرهم هناك على الحقّ وأهله.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَلُّوا۟﴾: ضلَّ الشّيءُ يضِلّ ضلالًا؛ أي: ضاع وهلَك. والاسم الضُّلُّ بالضَّمِّ. ومنه قولهم: هو ضُلُّ بنُ ضُلٍّ، إذا كانَ لا يُعْرفُ ولا يُعْرَفُ أبوه. والضالّةُ: ما ضَلَّ من البهيمة للذَّكر والأنثى، والضَّلالُ والضَّلالَةُ: ضدُّ الرّشاد. وقد ضَلَلْتُ أضِلُّ. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن

ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ [سبأ: 50]، فهذه لغةُ نجدٍ، وهي الفصيحة. وأهل العالية يقولون: ضَلِلْتُ بالكسر أضِلّ، وأضَلَّهُ: أضاعَهُ وأهلكه[1]، ومعنى ﴿ضَلُّواْ﴾ في جملةِ ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: ضاعوا، وتاهوا، ولا نهتدي لمكانهم، ولا سبيل لنا إليهم.

2) ﴿تَفْرَحُونَ﴾: (فرح) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الحُزْنِ، يُقالُ: فَرِحَ يَفْرَحُ فَرَحًا، فهوَ فَرِحٌ. قالَ اللّه تَعالَى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾. والمِفْراحُ: نَقيضُ المِحْزانِ[2]، ومعنى ﴿تَفْرَحُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: ادخلوا نارَ جهنَّم بسبب فرحكم بغير أسبابه المشروعة لكم في دار الدّنيا.

3) ﴿تَمْرَحُونَ﴾: (مرح) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مَسَرَّةٍ لا يَكادُ يَسْتَقِرُّ مَعَها طَرَبًا[3]، فالمرح: شِدَّةُ الفرح والنَّشاط حتّى يُجاوزَ قَدْرَهُ، وقيل: المَرَحُ: التَّبَخْتُرُ والاختيال. وفي التّنزيل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: 37]؛ أي: متبخترًا مختالًا؛ وقيل: المرحُ: الأشَرُ والبَطَرُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾. وقَدْ مَرِحَ مَرَحًا ومِراحًا، ورَجُلٌ مَرِحٌ مَنْ قَوْمٍ مَرْحى ومَراحى؛ ومِرّيحٌ، بالتَّشْديدِ، مِثْلُ سِكّيرٍ، مَنْ قَوْمٍ مِرّيحينَ، ولا يُكَسَّرُ؛ ومَرِحَ، بالكَسْرِ مَرَحًا: نَشِطَ، والمَروحُ الخمر، سمّيت بذلك لأنَّها تمرح في الإناء[4].

ومعنى ﴿تَمْرَحُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: اصطلوا النّار بسبب ما كنتم تطربون، وتتبخترون، وتختالون.

4) ﴿مَثْوًى﴾: الثَّواء: الإقامة مع الاستقرار، يقال: ثَوَى يَثْوِي ثَواءً، قال اللّه ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 45]، وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزُّمر: 60]، وقال: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزُّمر: 72]، وقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: 128]، والثَّوِيَّة: مأوى الغنم[5]، ومعنى ﴿مَثْوَى﴾ في قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: مكانُ إقامتهم ومُستقَرُّهم الأخيرُ في جهنَّمَ.

(1) الجوهري، الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية: (ضلل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرح).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مرح).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مرح).
(5) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (ثوى).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سيَعترِفُ الكفّار يـومَ القيامة بأنَّهم كانوا على الباطلِ في الدّنيا، ولن ينفعَهم شيئًا

تُبيِّن الآيات الكريمة حالَ المكذِّبين بعد أن يُجَرّوا ويُغمَسوا في الحميم، وتُسْجَرَ في أجسامهم النّيرانُ، ويذوقوا ما أُعِدَّ لهم من العذاب، بعدَ ذلك يُسألون على وجه التّقريع والتّبكيت: هل وجدتُم هنا أصنامَكم الَّتي عبدتُموها، وفضَّلتموها على عبادة الله تعالى، وعلى اتِّباع دينه الحقِّ لِتُنجيَكم ممّا حلَّ بكم من العذاب؟ و"تدفعَ عنكم شيئًا من العذاب الأليم الَّذي نزل بكم؟"[1]، فيأتي الجواب من قِبَلِهم بالاعترافِ بأنّهم لم يكونوا في الدّنيا على شيءٍ، بل لم يعبدوا شيئًا يستحقُّ العبادةَ، ثمَّ تُبيِّن الآيات أنَّ سببَ ما وصلوا إليه هو فرحُهم في الدّنيا بكفرهم، وتبختُرُهم وتكبُّرُهم على الحقّ والدّين، وبسبب "ما كنتم تُظهرون في الدّنيا مِن السّرور بالمعاصي وكثرة المال والأتباع والصِّحَّة"[2]؛ فادخلوا جهنَّمَ من أبوابها السّبعة، مُقدَّرًا عليكم الخلودُ فيها.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتُها:

الإهانةُ النّفسيَّة والإذلالُ الرّوحيُّ أشـقُّ مـن العذاب البدنيّ

﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ تفيدُ التّراخيَ الزَّمنيَّ؛ إذ يُطرح عليهم هذا السّؤالُ بعد مكابدة الأغلال والسَّلاسل والحميم والنّار؛ فيجتمع عليهم بذلك كلِّه الحسرةُ النّفسيَّةُ والإهانة الرّوحيَّةُ إلى العذاب الحسّيِّ والإيلام البدنيّ.

وكذلك تفوحُ ﴿ثُمَّ﴾ بالتَّراخي الرُّتبيِّ؛ إذ الإهانةُ النّفسيَّة والإذلالُ الرّوحيُّ أشقُّ على أصحابِ الكرامة ودعاةِ العِزّة - من الكفّار المكذِّبين - من العذابِ البدنيِّ، و﴿ثُمَّ﴾ تحكي تصعيدَ الإيذاءِ عليهم رُتبةً فوقَ رُتبةٍ، وهكذا "لا يُكتفى بالعذاب الجسديِّ الَّذي

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 12/ 312.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 273.

سَبَقَتْ صورته البشعة، بل يُضمُّ إليه عذابٌ نفسيٌّ، وهو سؤالهم على سبيل التّقريع والتَّأنيب: أين ما كنتم تعبدون من دون اللّه؟ هل نفعَكم هؤلاء الشُّرَكاءُ؟"[1].

نكتةُ التّعبيرِ بصيغة الماضي:

ما أخبَرَ القرآنُ بوقوعِه ممّا سيأتي له حكمُ ما وقَع ومَضَى

سَبَقَتِ الأفعالُ في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾، ﴿يُسْحَبُونَ﴾، ﴿يُسْجَرُونَ﴾ بصيغةِ المضارعة؛ استحضارًا لتلك الصّورة الَّتي ستكون في المستقبل؛ وكأنَّها حاصلةٌ مُشاهَدةٌ وقت ترتيل هذه الآيات الكريمات، ثمَّ جاء قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ متحوِّلًا إلى صيغة الماضي، فلم يقل: (ثمَّ يُقال)؛ لأنَّ ما سيُقال لهم ممّا أخبر به القرآن، فكأنَّه قد قيل؛ "وذلك لِتقرير وقوعه وتوكيده، ثمَّ ليَسْمَعَ هؤلاء المشركون ما قيل لِمن سبقوهم من أهل الضّلال، فهذا خبرٌ من أخبارهم، وأنَّهم إنَّما يُسألون عن معبوداتهم الَّتي عبدوها من دون اللّه سبحانه، فيلتفتون فلا يجدون لهم ظِلًّا، فيقولون: لقد ضلّوا عنّا؛ أي: تاهوا في هذا المُزدحَم"[2].

نكتةُ بناء فعل ﴿قِيلَ﴾ للمفعول:

لفتُ الأنظارِ إلى القولِ لا إلى قائلِهِ فيقعَ الاهتمامُ بتأمُّله

جاء بناء فعل ﴿قِيلَ﴾ لغير فاعله؛ ليقعَ الاهتمام بالقول لا بالقائل، مع العلم بأنَّ "القائلَ لهم ناطقٌ بإذن اللّه"[3]، وهو وإنْ كان غيرَ محدَّدٍ فالغالبُ أنَّ القائل هم "الخزنة"[4]، وليقعَ اللَّفْتُ إلى الفعلِ لا إلى القائل، ففي ذلك البِناء تصفيةٌ لِلسّياق ممّا قد يشغلُ المكذِّبين عن المقول، ويوفِّرُ عنايتهم على القول.

نوعُ اللّام ودلالتُها:

(اللّام) في القيد بالجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ في جملة: ﴿ثُمَّ قِيلَ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 8/ 665.
(2) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 12/ 1268.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 204.
(4) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 214.

لَهُمْ﴾ لامُ التّبليغ؛ لأنَّ هذا القولَ يبلغ أسماعَهم؛ ليَعوا مضمونه، فيُنادوا بالحسراتِ على الكفر والتّكذيب والجدال. واللّامُ ومجرورُها في محلِّ رفع نائبُ فاعلٍ للفعل ﴿قِيلَ﴾، وفي ذلك نكتةٌ لطيفةٌ، حيث إنَّ القصَّةَ كلَّها تدورُ عليهم، وتتحدَّثُ عنهم وعن عذابهم، حتّى إنَّ ضميرَهم المجرور باللّام قد أُقيم مُقامَ الفاعل.

في نيابةِ الجارِّ والمجرورِ عن الفاعلِ مبالغةٌ في وصْفِ سوءِ حالِهم

نكتةُ ذكرِ القيدِ ﴿لَهُمْ﴾:

ذُكِر قيد ﴿لَهُمْ﴾ في جملة ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾؛ لبيانِ أنَّ القول قد وُجِّه لهم بشديدِ اهتمام وكبيرِ اعتناءٍ، مع ما فيه من اللَّوم الكبير، والتَّوبيخ الشّديد على ما كان منهم من اتّخاذ الشّركاء في الدُّنيا؛ أي: قيل لهم على وجهِ الخصوص، وفي ذلك الموقف والمشهدِ لن يكون سِواهم ليُقال لهم ما قد قيل، إلّا أنَّ وجهَ الخصوصيّة كامنٌ في إبراز غرض التّوبيخ والتّقريع الآتي ذكرُه في الاستفهام.

التَّبكيتُ بالقولِ المُهين في الآخرة يخصُّ الكافرين

نكتةُ استعمالِ أداة الاستفهام ﴿أَيْنَ﴾ في تحقيق الأغراض:

أداة الاستفهام ﴿أَيْنَ﴾ تأتي للاستفهام عن المكانِ المجهولِ للشَّيءِ، وفي جملةِ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أغراضٌ كثيفةٌ للاستفهام، منها: التّأنيبُ، والتَّبكيت، والتَّقريع، والتَّنديم، والتَّحسير، والقهر، والتَّعجيز؛ إذ قد فاتت الفرصةُ، واستحالت الاستعانةُ بغير الله تعالى، كما أنَّ الاستفهامَ يُحَقِّقُ على المستفهَم منه الإنكارَ التّوبيخيَّ؛ الجديرَ بإسقاط مُزَع اللّحم عن الوجوه يوم القيامة؛ فهو أسلوبٌ مفعَمٌ بأسباب التّحزين والإذلال.

كـثرةُ أغـراضِ الاستفهامِ وفُرةٌ في المعاني وغزارةٌ في الدّلالات

فائدةُ استعمالِ ﴿مَا﴾:

﴿مَا﴾ في جملةِ ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ موصولةٌ، والمعنى: أين الَّذين كنتم تشركونهم مع الله تعالى في الألوهيَّة؟، و"معبوداتُكم الَّتي كنتم تعبدونها من دون الله؟"[1]، فاصطفاءُ النّظم الكريم ﴿مَا﴾

الإيجازُ اللَّفظيُّ، والمناداةُ على المعاني الكثيرةِ والعمومِ الشُّموليِّ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 8/ 664.

لهذا الموقع حقَّقَ الإيجازَ، وأدَّى المعنى على أتمِّ وجهٍ، وحقَّقَ غرضَ العُمومِ المشتملِ على جميعِ المعبودات، لا سيَّما بذكر ﴿كُنتُمْ﴾.

دلالةُ ذكرِ فعل الكون الماضي:

الإيماءُ إلى أنّ شركَ المكذّبين كان أسلوبَ حياةٍ ومنهجَ وجود

آثر النّظمُ الكريم ذكرَ فعلِ الكون الماضي في جملة ﴿مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، دون أن يقول: (أين ما تشركون)؛ وذلك لبيانِ أنَّ ديدَنَهم في الحياة الدُّنيا هو الإشراكُ باللّه تعالى، وأنَّ شركهم لم يكن عابرًا، أو عن جهلٍ يسيرٍ، بل هو عن إصرارٍ وعنادٍ ومعرفةٍ للحقِّ، بدليل ما جاء في السّياق من ذكر المجادلة بآيات اللّه تعالى، والتّكذيب بالكتاب، وهو ما يُبرهن على أنَّ عذابَهم عذابٌ يستحقّونه، وما كان اللّه ليظلمَهم فيما انتهَوا إليه من التّسجير في النّار.

دلالةُ استعمالِ مفردةِ الشِّرك:

الشِّركُ هو اللَّفظُ الأنسبُ في سياق التَّوبيخ والتَّقريع

المقصودُ بالشِّرك في جملةِ ﴿تُشْرِكُونَ﴾: تعبدون[1]، واستعمالُ مفردة الشّرك دون الكفر مع دلالةِ العموم والاتِّساع في لفظ الكفر باعتبارِ أنَّ السّؤالَ كان متَّجهًا نحوَ المعبودات الَّتي اتّخذها المشركون من دون اللّه تعالى، فحقَّقَ اللَّفظُ على هؤلاء المجادلين المكذِّبين جُرمَهم، وأُخزاهم، وعرّاهم أمام أنفسِهم؛ ففي الشِّركِ إعلانٌ لتسويتهم بين اللّه تعالى وبين غيره في استحقاق العبادة، وذلك هو الظّلم العظيم الَّذي لأجلِه أُدخلوا النّارَ، فكان ذكر لفظ الشّرك هو الأولى بالمقام.

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع:

كلُّ معصيةٍ تزولُ إلّا الشِّركَ، فسيبقى عقابُه حاضرًا في جهنَّم

من مَزايا التَّعبير بالمضارع في الفعل ﴿تُشْرِكُونَ﴾ أنَّه يَستحضِرُ الماضيَ البعيد، ويُقيمُه ماثلًا لَحظةَ التّعنيف والتَّبكيت بهذا السّؤال ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾؛ فيحقِّقُ على هؤلاء المكذِّبين جُرمَهم،

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 214.

ويشعرهم أنَّ شركهم لا يزالُ وسيظلُّ يطاردُهم في دار العقاب أبدَ الآبدين؛ لأنَّه الخطيئة الَّتي لا تُغفر، بل تُخَلِّد صاحبَها في الجحيم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النِّساء: 48]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النِّساء: 116].

نكتةُ حذفِ عائدِ الموصول:

في قوله تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ آثر النَّظمُ الحكيم حذفَ الضَّمير العائد على الاسم الموصول، والتَّقدير: أين ما كنتم تشركونهم؛ للاهتمام بقضيَّةِ الشِّركِ بغضِّ النَّظر عن الشُّركاءِ المعبودين من دون الله، فالشِّركُ هو المعصيةُ الكبرى الَّتي لا يغفرها الله، وبمجرَّدِ حصولِهِ يَخرُجُ صاحبُه عن مظلَّةِ التَّوحيد.

الشِّركُ هو المعصيةُ الكبرى بغضِّ النَّظرِ عن الشُّركاءِ المُتَّخذينَ من دون الله

نكتةُ التَّقييدِ بالجارِّ والمجرور ﴿مِن دُونِ﴾ ودلالتُهما:

جاءَ قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ قيدًا لفعل ﴿تُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: تشركون من دونه المعبوداتِ الباطلةَ، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الحقَّ يقتضي أنْ يَتَّخذوا الله إلهًا؛ إذ بذلك تقرَّر الاعتقادُ الحقُّ من مبدإ الخليقة، وعليه دلَّتِ العقول الرّاجحة[1]، وحرفُ ﴿مِن﴾ دلَّ على الابتداء، ولفظ ﴿دُونِ﴾ دلَّ على أنَّ كلّ معبودٍ هو دون الله تعالى، فالله أكبرُ وأعظمُ وأجلُّ وأكرم، فيكون هذا القيدُ دالًّا على الشُّمولِ؛ ومستوعبًا لكلِّ معبودٍ باطلٍ وُبِّخوا بسببِ اتّخاذه إلهًا.

استيعابُ كلِّ معبودٍ باطلٍ؛ ليقعَ التّوبيخُ على جميعِ المشركين

علَّة فصلِ جملةِ الجوابِ عن السُّؤال:

فُصلت جملةُ ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ عن جملة ﴿قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ للاستئنافِ البيانيِّ؛ لأنّه من باب التّقاوُل الَّذي تتلاحق الجملُ فيه بلا واسطةٍ لفظيَّة، إضافةً إلى أنَّ الجملةَ

الجُمل في بابِ المقاولةِ تتلاحق بلا واسطةٍ لفظيَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 16/ 163.

الثّانية ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ جوابُ السّؤال الصّريح السّابق: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، ولا يعطف الجواب على سؤاله؛ لِما بينَ الجملتين من الارتباط القويِّ.

براعةُ استعمال مفردةِ الضّلال:

الضَّلالُ في الدّنيا يَستلزِمُ الضَّلال في الآخـرة، كما أنّ الهُدى ثمرةُ الهدى

آثرَ النّظم الكريم استعمالَ مفردة الضّلال في جواب المشركين عند الإخبارِ عن معبوداتهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ بقولهم: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾، مع ما فيه من المعنى اللُّغويّ، وهو الضّياع والتّيْهُ، وفِقدانُ الوِجهة، إلّا أنَّ فيه إيماءً إلى أمرٍ آخرَ، وهو الاعتراف بالضّلال الَّذي وقعوا هم فيه ضمنيًّا، فإذا أثبتوا الضّلالَ للمعبودِ فقد أثبتوه لزومًا للعابد.

فالتَّعبيرُ بمفردة (الضَّلال) في قولهم: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ مفردةٌ معبِّرةٌ في مقامها، ومتَّسِقةٌ مع ما كانوا عليه من ضلالٍ عن الحقِّ في دار الاختيار، فبسببِ هذه المعبودات المختلَقة أنطَقَهم بمفردة (الضَّلال) عمقُ أسَفِهم، وتغلغُلُ النّدامة في أنفسهم على ما فاتهم من نورِ الهدى والتَّوفيقِ إلى توحيد الله تعالى، والتَّصديقِ بكتابه العزيز، وبما أرسل به رسله الكرام؛ وهكذا عوقبوا بضلالهم في الدّنيا ضلالَ آلهتهم المكذوبة عنهم في الآخرة، وكذلك الضّلال يستلزم الضّلال، كما أنَّ الهُدى يُثمر الهدى.

بلاغةُ التّضمين وفائدتُه:

غـيـابُ الآلـهـةِ المزعومةِ ضلالٌ عن العابدين؛ لـعـدم الـنّـفـعِ واضـمـحـلالِ الوهم

عُدّي الفعل (ضلَّ) في قول المكذِّبين عن معبوداتهم الباطلة: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ لأنَّه مضمَّنٌ معنى الفعل (غاب)، والمعنى: "غابوا عنا. مِن: ضلَّت دابتُه: إذا لم يَعرِفْ مكانها"[1]، وهو ما يجمع بين هذه الآيةِ وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98] الدّالِّ على أنّهم مقرونون بآلهتهم، "فيجوز أن

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 8/ 664.

يَضِلّوا عنهم إذا وُبِّخوا وقيل لهم: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيغيثوكم ويشفعوا لكم؟ وأنْ يكونوا معهم في سائر الأوقات، وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم، إلّا أنَّهم لَمّا لم ينفعوهم فكأنَّهم ضالّون عنهم"[1]، وعلى ذلك فإنَّ "للنّار طبقاتٍ، ولهم فيها مواقف؛ فيجوز غَيْبتُهم عنهم في بعضِها واقترانُهم بهم في بعضٍ آخرَ، ويجوز أن يكون ضلالُهم استعارةً لعدم النّفع، فحضورُهم كالعدم، فذُكِرَ على حقيقته في موضعٍ، وعلى مجازه في آخرَ"[2].

نوعُ ﴿بَل﴾ ودلالتُها:

احتمالُ حرفِ الإضراب للانتقالِ أو الإبطال

﴿بَل﴾ في قولهم: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ تَحتمِلُ أن تكون حرفَ إضرابٍ، يُفيد الإبطالَ، فالمشركون مرتبكون لا ثَباتَ لهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: 27]، فبعدَ أنِ اعترفوا بشركهم في جملة ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ انتكسوا إلى الكذبِ الَّذي اعتادوه في الدّنيا، ولم يزجُرهم ما عاينوه من أهوال الآخرة، فقالوا: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾، و"هذا يدلُّ على أنَّ الآيةَ لا تَضطَرُّ أهلَها إلى قبول الآيات والتَّصديق لها؛ لأنَّهم أنكروا أن يكونوا مشركين بعدما عاينوا العذابَ وظهَرَ لهم خطَؤُهم وكونُهم على الباطل، ثمَّ لم يمنعهم ما عاينوا من الكذب"[3].

ويَحتمِلُ حرفُ الإضراب أن يكون للانتقال، والمعنى: "ضاعت عبادتُنا لها، فكأنّا ﴿لَّمْ﴾ نكنْ ندعو من قبلُ شيئًا"[4]، فيقولون: "تبيَّنَ لنا اليومَ أنّا لم نكن نعبدُ في الدّنيا شيئًا يُعتَدُّ به، وهو إضرابٌ عن كون الآلهة الباطلة ليست بموجودةٍ عندهم أو ليست بنافعةٍ إلى أنَّها

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 4/ 179.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 338.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 51.
(4) الخازن، لباب التّأويل في معاني التّنزيل: 4/ 80.

ليست شيئًا يُعتَدُّ به. وفي ذلك اعترافٌ بخطئهم وندمٌ على قبيح فعلهم حيث لا ينفعُ ذلك"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع:

عند وقوعِ العذابِ تضمَحِلُّ الغفلةُ وتتلاشى

تعبيرُ هؤلاء المشركين بالكون المضارع منفيًّا، والدّعاءِ المضارع في سياق النّفي ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ﴾ جاءَ بإزاء الكون الماضي والشِّرك المستحضَر في السّؤال ﴿كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، وفي ذلك أمارةُ الانتباهِ والتَّركيزِ والتَّخلُّص من مظاهر الغفلة الَّتي كانت تلفُّهم في الدّنيا ومن أسبابها؛ فما عادَ للغفلة مكانٌ؛ فقد حلَّ بهم ما لا قِبَلَ لأحدٍ على احتماله.

لطيفةُ إيثارِ لفظ ﴿نَّدْعُواْ﴾ دون (نُشرِكُ):

لا جَدوى في المُحايَلة ولا نفعَ بالمُدَيَنة

آثرَ المشركون التَّعبير بالفعل ﴿نَّدْعُواْ﴾ مع أنَّ السّؤال بـ ﴿تُشْرِكُونَ﴾ في جملة ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾، وفي ذلك مُجانَبةٌ لِلَفظِ الشِّرك؛ فالشِّركُ جريمةُ الجرائم، وهم يحاولون التّهرُّب منها، فجانبوها، وأدخلوا النَّفيَ على دعاء غير الله تعالى قائلين: ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾، وهذا منهم محايلةٌ لا جدوى منها، وملاينةٌ غيرُ نافعة.

فائدةُ تقديم الجارّ والمجرور على المفعولِ:

العنايةُ باستغراقِ النَّفي للزَّمانِ كلِّه

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿مِن قَبْلُ﴾ على المفعولِ ﴿شَيْـًٔا﴾ في قولهم: ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾؛ لتأكيدِ خلوِّ الزَّمنِ السّابق كلِّه مِن دعائهم وعبادتهم شيئًا، سواءٌ جاء ذلك منهم على وجه الكذِب، أو جاء على وجه الاعتراف بخطئهم والإقرارِ بعدم أهليَّة معبوداتهم الباطلة للعبادة، وأنَّها ليست بشيءٍ، والتّقديمُ يدلُّ على العنايةِ باستغراقِ النّفي للزّمانِ كلِّه.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿شَيْـًٔا﴾ وتنكيرِه:

يَنْفي الكفّار دعوتَهم أيَّ (شيء) في قولهم: ﴿لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 339.

مِن قَبۡلُ شَيۡـًٔا﴾، فعبَّروا بالشَّيئيَّة، ونكَّروها؛ فجمعوا عليها تنكيرين: تنكيرَ معناها؛ فهي (شيء) مُبهَم لا وجود له، وتنكيرَ مبناها؛ فهي (شيء) مجهولٌ منكورٌ غيرُ محدَّدٍ؛ ففيها معنى العموم والاستغراق لكلِّ شيءٍ يُتصوَّر معه عبادةُ غير الله تعالى.

هولُ الموقفِ يَستدعي التَّبرُّؤَ مِن الإشراك بعمومه

علَّةُ فصلِ جملةِ الفاصلةِ عمّا قبلَها:

فُصِلَتْ جملةُ ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ عن جملةِ ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـًٔاۚ﴾؛ لاختلاف مصدرَي الخبرين؛ إذ إنّ جملة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ جاء إخبارًا من الله تعالى، والجملة السّابقة كانت مِن كلام المشركين، يتبرَّؤون فيها من عبادة شيءٍ قبل يوم القيامة، وهي موضعُ الاعتبار وموقعُ الاتّعاظ.

الاتّعاظُ بالوقوفِ على مصائبِ المشركين والاعتبارُ من أحوالِهم

وظيفة (الكاف) الرّابطة:

الأداةُ الرّابطة بين الجملتين هي أداة التّشبيه في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ إذ جَعَلَتْ ما قبلَها ملخَّصًا في اسم الإشارة (ذا) مُشبَّهًا به، وجَعَلَتْ ما بعدهما مُشبَّهًا، وكانت بينهما جامعةً؛ فاستغنى التّركيب عن حروف العطف، والمعنى: "كما أضلَّ الله تعالى أعمالَ هؤلاء، وأبطل ما كانوا يؤمِّلونه؛ كذلك يفعل بأعمالِ جميع مَن يتديَّن بالكفر، فلا ينتفعون بشيء منها، فإضلالُ الكافرين على معنى إضلالِ أعمالِهم؛ أي: إبطالِها"[1].

أداةُ التّشبيهِ بمثابةِ الرّابطِ الَّذي يُغني عن حروف العطف

بلاغةُ التَّشبيهِ وغرضُه:

يعودُ اسمُ الإشارة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ إلى مضمونِ السّابق؛ أي: مثلَ ذلك الضَّلالِ الَّذي وقع به المشركون في المجادلة في آيات الله والتّكذيب بالكتاب، فاستحقّوا الضّلالَ والعذابَ في الآخرة يكونُ الضّلالُ لعمومِ الكافرين؛ أي: "مثلَ

سُنَّةُ اللهِ تعالى ماضيةٌ في الكافرين باستحقاقِ الضَّلالِ المبين

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 339.

ضلالهم ذلك يضلُّ الله الكافرين، والمراد بالكافرين: عمومُ الكافرين، فليس هذا من الإظهار في مقام الإضمار"[1].

فالتَّشبيهُ هو إلحاقُ حالِ كلِّ كافرٍ إلى يوم الدّين، وما يكونُ له في الدّنيا من الضّلال، وفي الآخرةِ من العذاب؛ بحال هؤلاء المشركين المتقدِّم ذكرُهم، وغرضُ التّشبيه بيانُ الحال، والكشفُ عن خطورة اختيارِ الكفر، ومضرّةِ الجدال في آيات الله تعالى والتَّكذيبِ بها في كلِّ أمَّةٍ وفي كلِّ جيل؛ فَسُنَّةُ الله تعالى في الكافرين لا تتخلَّفُ ولا تتبدَّلُ ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

نكتةُ الإشارةِ بالبعيد:

مصيرُ المكذِّبين بالحقِّ الطَّرْدُ والإبعادُ عن ساحة الطُّهر والرَّحمات

في إيثارِ الإشارةِ الَّتي للبعيدِ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مع قربِ ذكرِ المشبّه به إيحاءٌ ببُعْدِ المشارِ إليه في الخطورة على مَن يتورَّطُ فيه، وتخويفٌ مِن المصير إلى مثل مصير هؤلاء المكذِّبين، فالبُعدُ هو باعتبار معنى الحال الَّذي تمثَّلَ به المشركون من الجدال والتّكذيب، فإنّه حقيقٌ بالإبعادِ، لا باعتبار الذّكر في السّياق، وعليه فتكون الإشارةُ للبعيدِ بغرضِ إبعاد مَن هذه حالُهُ، ففيه إيحاءٌ بطَردِ أصحابه وإبعادهم عن ساحة الطُّهر والرَّحَمات.

فائدةُ استعمالِ مفردة الضَّلال:

الضَّلالُ لفظٌ جامعٌ لكلِّ مَن ينتهي به الحالُ إلى مخالفةِ الإسلام

استعمَلَ النّظم الكريم مفردةَ الضّلال في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ لاستحضار معنى الإضلال الَّذي وقع به المشركون، فحصل لهم ما حصل من العذاب الأليم في الجحيم، وللتَّحذير من الاستمرار في الكفر، ولبيان أنَّ ما عليه الكافرون بجميعِ أنواعهم واتِّجاهاتهم ومبادئهم واعتقاداتهم مصيرُهُ إلى ما صار إليه المشركون؛ ففيه دفعُ اختصاص المشركين بهذا الضّلال،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 205.

بل هو ضلالٌ عامٌّ في الجميعِ؛ فيدخلُ أهلُ الكتاب، والملاحدةُ، وعمومُ الوَثَنيّين، وكلُّ اعتقادٍ طارئٍ إلى يوم الدّين؛ فاللَّفظ الجامع لهؤلاء جميعًا مع المشركين هو الضّلال.

نكتةُ التّعبير بصيغةِ المضارع:

الإضلالُ مستمرٌّ متجدِّدٌ بتجدُّدِ الكفرِ واستمرارِه

جاء التّعبيرُ بصيغة المضارع في الفعل ﴿يُضِلُّ﴾؛ لبيانِ أنَّ الضَّلالَ متجدِّدٌ في النّاس، وأنَّه أمرٌ لا يتوقَّفُ، فكلَّما استجدَّ كفرٌ استجدَّ إضلالٌ.

لطيفةُ إسنادِ فعلِ الإضلال إلى الاسم الجليل:

جميعُ ما في الوجود إنَّما هو بإذن الله تعالى ومشيئته

أسنَد النّظمُ الكريم فِعلَ الإضلال إلى الاسم الجليل في جملة ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مع أنَّهم هم الَّذين ضَلّوا، وهم الَّذين اختاروا الضّلال؛ وذلك لبيان أنَّ الأفعال كلَّها لله تعالى، فهو الَّذي يُقْدِرُ العبادَ على الإتيان بها، ففي إسنادِ فِعلِ الإضلالِ إلى الاسم الجليل تنبيهٌ إلى أنَّ جميعَ ما يجري في هذا الوجود إنَّما هو بإذن الله تعالى وواقعٌ بمشيئته، حتّى ما هو خارجٌ عن دائرةِ مرضاتِه، فهو الَّذي سمَحَ بوقوعه، وإلّا لم يقع.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

الكفرُ ضلالٌ بكلِّ أشكالِهِ وصُنوفِه

لفظُ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ جاء جمعًا معرَّفًا بـ(أل)؛ لاستغراقِ كلِّ من يتَّصِفُ بالكفرِ على اختلاف مِلَلِهِ ونِحَلِهِ، وتُدخِلُ كلَّ كافرٍ ضالٍّ رضيَ بالكُفر واختارَهُ على الإسلام.

بلاغةُ الكنايةِ في التّشبيه:

المجادلةُ في آيات الله تعالى أشدُّ الكفر

التّشبيهُ في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ "كنايةٌ عن كون إضلالِ الَّذين يجادلون في آيات الله بلَغَ قوَّةَ نوعِهِ؛ بحيث يُنظَرُ به كلُّ ما خفي مِن أصناف الضَّلال، وهو كنايةٌ عن كون مجادلةِ هؤلاءِ في آيات الله أشدَّ الكفر"[1].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 205.

فائدةُ اختيارِ لفظِ الكفر دون الشِّرك:

دفعُ توهُّمِ تخصيص الشِّرك بالذَّمِّ دونَ سائرِ أنواع الكفر

آثر النّظم الكريم استعمال لفظ (الشِّرك) في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ دون لفظ (الكفر)، ثمَّ استعملَ لفظَ (الكفر) في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ ليدخلَ فيه عمومُ الكافرين من أهل الشّركِ والإلحاد وأهل الكتاب وغيرهم؛ أي: فكذلك يضلُّ اللّه الكافرين بكلِّ أنواعهم ومِلَلِهم، ولو أتى بلفظ الشِّرك لتوُهِّمَ أنّ المرادَ المشركون على وجهِ الخصوص، فكان اختيارُ لفظ (الكفر) لدفعِ هذا الوهم.

نكتةُ حذفِ متعلّق فعل الإضلال:

الإضلالُ عامٌّ في كلِّ خيرٍ دينيّ

حُذف متعلّقُ فعلِ ﴿يُضِلُّ﴾ من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، والتّقدير: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ "عن الإيمان، وعن طريق الجنَّة"[1]، "وعن الصّراط المستقيم"[2]، ولطيفةُ حذف المتعلّق إفادةُ عمومه، وأنَّ إضلالَهم كان إضلالًا عامًّا عن كلِّ خيرٍ يَنفَعُهم، ممّا يقرِّر أنَّهم مشؤومون. نَعَمْ، إنَّه تعالى قد يوَفِّقُهم إلى خيرٍ عاجل لا يَنفَعُهم، بل قد يكون استدراجًا مُهلِكًا فاتكًا بهم، وهذا من أكبرِ الخِذْلان، والعياذ باللّه تعالى.

توجيهُ الفَصْلِ بين جملةِ مقولِ القولِ وما قبلها:

التّراكيبُ القرآنيّةُ مُتعانِقةُ الارتباطِ والدّلالات

قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ مقولُ قولٍ محذوفٍ، والتّقدير: "تقول لهم الملائكة: هذا الّذي أنتم فيه جزاءٌ على فَرَحِكم في الدّنيا بغير الحقِّ، ومَرَحِكم وأشَرِكم وبَطَرِكم"[3]، وهو تكملةٌ للمتقدّم ذكرُه؛ أي: ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾، ثمَّ جاء الجوابُ ﴿قَالُوا۟﴾، وهنا جاء الرّدُّ عليهم على تقدير: (قيل لهم): ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾،

(1) الكرماني، لباب التّفاسير، ص: 2630.
(2) حجازي، التّفسير الواضح: 3/ 318.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 158.

فيكونُ الفصلُ من المحاورة والمقاولة بين الملائكة والمشركين، فهم "يقال لهم، ويقولون"[1]، فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ "تكملةُ القيل الَّذي يقال لهم ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾"[2].

نكتةُ حذفِ فعلِ القول:

رُبَّ حـذفٍ ورَّثَ فهمًا لا يَستدعيه اللَّفظ

بناءً على المتقدِّم ذكرُهُ في النُّكتةِ السّابقةِ؛ يُسألُ عن نكتةِ حذفِ القول المقدَّر المحذوف (قيل لهم)؛ فلم يأتِ على غِرارِ المتقدِّم، والجواب: أنَّ جملة ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ جاءتْ على طريق المباغَتة لهم بعدَ أنْ صدَرَ عنهم ما صدر، وكان المناسبُ لهذه المباغتة حذفَ فعل القول؛ ليَتصوَّرَ المتلقّي بوساطةِ الحذفِ سرعةَ المباغتة، وقوَّةَ المفاجأة، فلا يتَّضحُ ذلك إلّا بالحذفِ، ورُبَّ حذفٍ ورّث فهمًا لا يَستدعيه اللَّفظ.

تعيينُ مرجعِ اسمِ الإشارة:

المعنى المتقدِّمُ بجملتِه مقصودُ اسمِ الإشارة

الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تعودُ إلى مضمون السّابقِ من الضّلال المؤدّي إلى العذابِ الشّديد في النّار؛ مِن سحْبِهم في السّلاسل والأغلال، وتسجيرِهم في النّار، وتوبيخِهم بالسُّؤال[3]، فهو عائدٌ إلى الإضلالِ والعذابِ معًا لتلازُمِ العلاقةِ بينهما، وناسَبَ ذلك الإشارةُ بالبعيد.

غَرَضُ خطابِ المشركين:

توبيخُ المكذِّبين وقتَ العذابِ عقابٌ أليم

يُقال للمشركين: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على وجهِ الخطاب؛ "للمبالغة في التّوبيخ؛ لأنَّ ذمَّ المرء في وجهه تشهيرٌ له، ولذا قيل: النُّصْحُ بينَ الملأ تقريعٌ"[4]؛ "أي: إنَّما نالَكُم هذا بما

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 338.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 206.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 533، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 333، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 575.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 339.

كنتم تُظهِرون في الدّنيا من السّرور بالمعصية، وكثرةِ المال والأتباعِ والصِّحَّةِ. وقيل: إنَّ فرحَهم بها عندهم أنَّهم قالوا للرُّسل ﷺ: نحن نعلمُ أنّا لا نُبعَثُ ولا نُعذَّبُ"[1]، وللإيماءِ إلى تعاضُدِهم في نُصرةِ الباطلِ ومحاربةِ الحقِّ أيّامَ أنْ مُنِحوا حرّيَّةَ الاختيار، فاختاروا لأنفسِهم الكفرَ والتَّكذيب بالدّين.

نوعُ الباء ودلالتُها:

عقابُ المُكذِّبين مُسبَّبٌ عن اختيارِهم وعنادِهم

(الباءُ) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ للسَّببيَّة؛ أي: بسببِ فرحِكم في الدّنيا، ومرحِكم وتقلُّبِكم في الأرض خلّاكم الله تعالى إلى الضّلال، ولم يوفِّقكم إلى الهُدى، لا بِظُلمٍ منه سبحانه، بل بعنادِكم واختيارِكم؛ فلا تلومُنَّ إلّا أنفسَكم.

نوعُ (ما) ودلالتُها:

اجتماعُ معنى المصدريَّةِ والموصوليَّةِ يُحقِّقُ الإيجازَ

(ما) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تحتملُ المصدريَّةَ وتحتملُ الموصوليَّة، والمعنى على المصدريَّة: ذلكم بِكَوْنِكم فَرِحينَ في الأرض بغير الحقّ وبكونكم مَرِحينَ، والمعنى على الموصوليَّة: ذلكم بسبب ارتكابكم الشّركَ الَّذي كنتم به تفرحون في الأرض وبسبب الَّذي كنتم به تمرحون.

وكِلا التَّقديرَين يؤدّي المعنى المرادَ، إلّا أنَّ بينَهما فرقًا دقيقًا، فعلى المصدريَّةِ يكونُ العذابُ مُسبَّبًا عن الفرحِ والمرحِ أنفُسِهما، وعلى الموصوليَّةِ يكونُ العذابُ مُسبَّبًا عن الشِّركِ المؤدّي إلى فرحِهم ومرحِهم، وفي النَّتيجة: الشِّركُ والفرحُ بالشِّركِ شيءٌ واحدٌ يَستَحِقُّ به صاحبُه العذاب.

وفي إيثار النّظم الكريم استعمالَ (ما) تحقيقٌ للدَّلالتين دَفعةً، ومنحُ التَّركيبِ وجازةً ووَثاقةً لا تَتَأتَّيانِ معًا إلّا به.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 333.

دلالةُ التَّصريح بفعلِ الكون الماضي:

في التَّعبير بالكون الماضي في جملة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ حكايةُ ماضٍ بعيدٍ انقَضَتْ لَذَّتُهُ وبَقيَتْ حسرتُه، أيّامَ أنْ كانوا في الدّنيا يتلذَّذون بتكذيب آيات الله تعالى، ومناهَضةِ رُسله الكرام، ومَن خَلَفوهم في الدّعوة إلى الله سبحانه من الدّعاة؛ ففي التّذكيرِ بالكون الماضي هنا تعنيفٌ شديدٌ، وتحسيرٌ أليمٌ يضاف إلى ما يَفوحُ من عناصرِ التّركيب الأخرى من تحسيرٍ وتحزينٍ، وإقامةٍ للحجّةِ عليهم بأنّ فرحَهم في الدّنيا الَّذي صرفَهم عن الإيمانِ والهداية كان ديدَنَهم، وكان دوامَ حالِهم الَّتي تتجدَّد في كلِّ وقت وحين، فلم يدخلوا النّار إلّا بما كان من دوامِ حالِهم وبؤسِ مَقامِهم.

في تذكيرِ الكافرِ بماضيهِ القبيحِ تَحسيرٌ بِلَذّاتٍ انقَضَتْ وتعظيمٌ لحسراتٍ بَقيَتْ

فائدةُ استعمالِ مفردةِ الفرح:

التَّعبيرُ بالفرح في مقام تعذيب المكذِّبين في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ لبيانِ أنَّ الفرحَ المُلهيَ عن ذكر الله تعالى هو فرحٌ مذمومٌ، ولم يأتِ بمفردةِ اللّهو أو الغفلة ونحو ذلك؛ لتحذير المخاطَبين بأنَّ الفرح هو أقربُ إلى دائرة الذَّمِّ منه إلى دائرة المدح والقبول، والفرحُ هو "المَسَرَّةُ، ورِضا الإنسان على أحواله، فهو انفِعالٌ نفسانيٌّ"[1]، ففيه إيماءٌ إلى أنَّ العاقل لا ينبغي له أن يُكثر من مجالسِ الفرح، بل يجعلُها خفيفةً يسيرةً بقدر الحاجة، والمؤمن إنَّما يفرح بفضل الله تعالى وبرحمته كما أمَرَنا الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: 58]، وهؤلاء جعلوا الفرح أصلًا يَنطَلِقون منه في حياتِهم كلِّها، ويُحيط بهم من كلِّ جانب.

الفرحُ المحمودُ ما كان وسيلةً للطّاعةِ، والمذمومُ ما كان دَيْدَنًا في الحياةِ

دلالةُ التَّعبير بصيغةِ المضارع:

تَحكي صيغةُ المضارعة عن هؤلاء المشركين في قولِه تعالى:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 206.

﴿تَفْرَحُونَ﴾، وقولِه: ﴿تَمْرَحُونَ﴾ أنَّهم كانوا في الدّنيا يتمادَون في فرحهم ومرحهم، حتَّى أصبح منهجَ حياةٍ مُتجدِّدًا، ويبالغون في تبختُرِهم وبطَرِهم بغير الحقّ حتى خرجوا عن منهج الحقّ إلى منهجِ (غير الحق)، والمنهجُ القويم يأبى الإكثارَ من مظاهر الفرح والمرح، وقد تعدَّى هؤلاء ذلك حتّى ارتكبوا كثيرًا من أنواع الخطايا في فرحهم ومرحهم، واتَّخَذوه منهجَ حياةٍ مُتجدِّدًا، وتربَّصوا بِرُسُل اللّه تعالى الدّوائرَ، وفَرِحوا بما يُصيب أنبياءَ اللّه تعالى وأولياءَه من المكارِهِ[1]، فالفرحُ باعتناقِ الباطل، وبنصرته وانتصاره، وبالكيد له ولدُعاتِهِ الصّالحين المصلحين شديدُ الحُرمة، فظيعُ الجُرم.

الـفـرحُ الـدّائـم المـتـجـدِّد سِـمَـةُ أهـــل الـغُـرور وعـنـوانُ أهـلِ التَّرَف

دلالةُ استعمالِ حرفِ الظَّرفيَّة مُقيِّدًا للفعل:

في قوله تعالى: ﴿تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جاء حرفُ الظّرفيَّة ﴿فِي﴾ في مقيِّدًا لفعلِ الفرحِ بكونه في الأرض، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾ تعني (الدّنيا)، وهم إنّما كانوا يفرحون ويمرحون (على) الأرض لا فيها، غير أنَّ النّظم الكريم دَرَج على ذِكر الظّرفيَّة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في أغلب مواضعِ وُرودِهِ في القرآن الكريم، حيث ورد ذكرُ ذلك في نحو مائةٍ وسبعين موضعًا، ولم يُذكر حرفُ الاستعلاء مع الأرض صراحةً (على الأرض) إلّا في أربعة مواضعَ، ولها مقاماتُها الخاصّة، الجليّة في سياقاتها.

تـمـكـيـنُ الـلـه تعالى للكفّارِ في الأرض يَقتضي مـنـهـم شـكـرَ المُنعِمِ لا جُحودَ فضلِه

فحرفُ الظّرفيَّة يُبيِّن تمكُّنَهم في الأرض، حتّى كأنّهم مُتَغلغِلون فيها مُتَمكِّنون منها؛ ممّا يقتضي منهم شكرَ اللّه تعالى، ومع ذلك بَطِروا الحقَّ، وجَحَدوا الفضلَ، وتكبَّروا وتجبَّروا؛ فاستوجَبوا الأغلالَ والسَّلاسِلَ والحميمَ والجحيم.

يضاف إلى ذلك: أنَّ في القيدِ بالظَّرفيَّة وجهَ إعجازٍ؛ ذلك أنَّ مجالَ الأرض أوسعُ من سطحها الَّذي نعيش عليه؛ إذ إنَّ طبقاتِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 339.

الغازات المحيطةَ بالأرض تجعلُ هذا الفضاء الَّذي يحيط بنا من الأرض، فنحن ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بهذا الاعتبار، ولسنا عليها.

نوعُ (الباء) ودلالتُها:

(الباء) في القيد بالجارِّ والمجرور ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ للإلصاق، فهم ملتصقون بفرحهم بغير الحقِّ، وملتبسون بمرحهم بغير الحقّ، وفيها معنى السّببيَّة؛ أي: أنّ فرحَكم المُتجدِّدَ المتطاول هذا كان بسببِ (غيرِ الحقِّ)؛ ممّا أوجَبَ لكم الحميمَ والنّار، وعلى ذلك فالعبدُ مُؤاخَذٌ بتصرُّفاته جميعِها، حتّى بفرحه ومرحه؛ فيجب أن يضبطَهما بضوابطِ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾، وأن يتحاشى ما سِواه.

العبد مؤاخَذٌ بسببِ ما يلتصقُ به من مخالفةِ الحقِّ

نكتةُ تقييدِ الأفعال:

جاءَ تقييدُ فعل الفرح ﴿تَفۡرَحُونَ﴾ بقيدِ ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾؛ لبيانِ أنَّ الفرحَ المقصودَ في الآيةِ هو ما كان بغير الحقِّ، وهو البغيضُ المحظور؛ وهو كما قال قوم قارونَ له: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [القصص: 76]، ويقول تعالى: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: 23].

دفعُ توهُّمِ حُرمةِ الفرح على المؤمنين

وفائدةُ القيدِ هي دفعُ توهُّمِ أنَّ الفرحَ محرَّمٌ على المؤمنين.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾:

تعريفُ لفظِ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ يدلُّ على الجنس، وتُقرِّر أنَّ كلَّ صورِ الاستقامة تنضوي تحت جنسٍ واحد، وأنَّ كلَّ فتائلِ الهُدى تستمدُّ أنوارَها، وتستقي بركاتِها من مِشكاةٍ واحدة.

فائدةُ إيثارِ التّركيب الإضافيّ على اللَّفظ المفرد:

آثر النّظم الكريم استعمالَ التّركيب الإضافيِّ (غيرِ الحق) دون المعنى المُراد وهو الباطل، فيُسأل عن نكتة ذكر التّركيب الإضافيِّ دون اللَّفظ المفرد مع وجازتِهِ اللَّفظيَّة، والجوابُ: أنّ ذكر هذا التّركيبِ (غير الحقِّ) يومِئ إلى أمرين؛ أنَّ فرحَهم كان بالباطل،

ذكرُ الحقِّ زيادةٌ في التَّحسيرِ على تركه والتّنويه بمكانتِه العليّة

وأنَّهم تركوا الحقَّ الَّذي كان نجاةً لهم، فهو المقصود الأهمّ، وفي ذِكره تنويهٌ بعظمته، وتنبيهٌ إلى وجوب اتِّباعه؛ ففائدةُ ذكرِهِ زيادة التّحسير، والتّنويه بمكانته العليّة.

دلالةُ واو العطف:

للمعطوفِ حكم المعطوفِ عليه في المتعلّقاتِ والقُيود

(الواوُ) في قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ واوُ العطف، عطفت ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ على المتعلِّق ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ فكلاهما متعلِّق بمقدَّرٍ واحد، وتقديرُ الكلام: قيل لكم: ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقِّ، وبما كنتم تمرحون في الأرض بغير الحق.

نوعُ (الباء) ونكتةُ تكرارِها:

المرحُ عنوانٌ آخرُ من عناوينِ الانشغال عن التّصديقِ بيوم الدّين

(الباءُ) في قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ باءُ السّببيَّة؛ أي: إنَّ ما صِرتُم إليه من العذابِ، وغَلِّكم بتلك الأغلالِ وسَلْسَلَتِكُم بتلك السِّلاسلِ، وسَحْبِكم فيها، وسَجْرِكم في النّار، كلُّ ذلك بسببِ (ما كنتم تمرحون)، لا بظلم وقع عليكم. وفي تكرار (الباء) بعد سبْق ذِكرها في جملة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ مزيدُ تبكيتٍ وتوبيخ، وتنبيهٍ إلى أنَّ مرحَهم هو الآخَرُ جديرٌ بعذابٍ نفسيٍّ مستقلٍّ، فضلًا عن العذابِ البدنيِّ اللّائق بجُرمهم.

نوعُ (ما) ودلالتُها:

ما قيل في (ما) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هو نفسُه ما يُقال في قوله تعالى: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾، فهو محمولٌ على المصدريّةِ والموصوليّةِ بمعناهما العامِّ والدَّقيقِ المتقدِّمِ بغرضِ الإيجاز.

بلاغةُ استعمالِ مفردة المرح:

جاء استعمالُ مفردةِ المرح في جملة ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ليُمثِّلَ مظاهرَ الخفَّةِ والطَّربِ النّاتجةَ عن الفرح، فالفرحُ أمرٌ قلبيٌّ روحيٌّ

مستورٌ، والمرحُ مظهَرٌ بدنيٌّ منظورٌ، ومن المرح "البطرُ والخُيَلاءُ"[1]، و"ما يَظهَرُ على الفَرِحِ من الحركاتِ في مشْيِه، ونَظره، ومعاملته مع النّاس، وكلامِه، وتكبُّرِه؛ فهو هيئةٌ ظاهريَّةٌ"[2]، ومنه الـ"فرح بِعُدوانٍ، كالبطَرِ والأشَرِ"[3]، ومنه "التَّكبُّر؛ وهو كقوله: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء: 37]؛ أي: تكبُّرًا"[4].

المرحُ نتيجةُ الفرحِ والبطرِ، وهو أشدُّ الفرح

بلاغةُ فنِّ الجناس:

بين الفعلين ﴿تَفۡرَحُونَ﴾، و﴿تَمۡرَحُونَ﴾ جناس مُحَرَّف؛ إذ الفرق بينهما محصور في اختلافِهما في تغيير حرفٍ واحد، فجاء بدلًا من (الفاء) في الأوَّل (الميمُ) في الثّاني، فالأوَّل يدلُّ على انتعاشةِ الرّوح وطرَب النَّفْس، والثّاني يدلُّ على خِفَّة البدن وحركات الجوارح، فالجناسُ حقَّق عنصرَ المخادَعة، وجاء على ما طَلَبَه المعنى واستَدْعاهُ، وساقَهُ نحوَهُ بلا أدنى كُلْفة.

الجمعُ بينَ الحالةِ النّفسيَّةِ والبدنيَّة بجناسٍ لطيف

بلاغةُ الإيجازِ بالاكتفاء:

اكتفى النَّظمُ الكريم بذِكر القيدَين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ و﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ في جملةِ ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ عن إعادتِهما في جملةِ ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾؛ إذ إنَّ ذِكْرَهما قبلًا يُحقِّقُ الوَجازةَ مع تمامِ البرِّ بالمعنى والوفاءِ بتحقيق الغرض.

الاكتفاءُ القرآنيُّ يُحَقِّقُ إيجازَ اللَّفظِ مع تمام المعنى

علَّةُ فَصْلِ جُملةِ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ عمّا قبلها:

جملةُ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ "يجوزُ أن تكون استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّهم لمّا سمعوا التّقريع والتَّوبيخ، وأيقنوا بانتفاء الشّفيع؛ ترقَّبوا ماذا سيؤمر به في حقِّهم، فقيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾، ويجوز أن تكون بدلَ اشتمالٍ مِن جملةِ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾؛ فإنَّ

الدّخولُ في النّار نتيجةُ الفرحِ بالباطلِ في الدّنيا

(1) الواحدي، التّفسير الوسيط: 4/ 21.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 206.
(3) حجازي، التّفسير الواضح: 3/ 317.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 52.

مدلولَ اسم الإشارة العذابُ المشاهَدُ لهم، وهو يشتملُ على إدخالِهم أبوابَ جهنَّمَ والخلودِ فيها"[1].

فهي على الوجهينِ مفصولةٌ عن السّابق؛ وبينَ الجملتينِ على تقديرِ الاستئنافِ البيانيِّ شبهُ كمال الاتِّصال، وعلى تقديرِ البَدَليَّةِ كمالُ الاتِّصال.

غرضُ الأمرِ ودلالتُه:

تبكيتُ المكذِّبين بإعلامِهم بمصيرِ حالِهم

الأمرُ بالدّخول في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ محمولٌ على الإهانةِ والتَّحقير والتَّبكيت، وهو تحصيلُ حاصلٍ، وليس أحدٌ يدخلُ النّارَ باختيارِه، فهو إجبارٌ يكون بجرِّهم بالسَّلاسلِ حتّى يدخلوها، وينزلوا منازلَهم الَّتي أُعِدَّتْ لهم؛ ففيه مِن الإياس من النّجاة من العذاب ما يُسَوِّد مصيرَهم الأليم؛ فإنَّه أمرُ مَن لا يُرَدُّ له أمرٌ، مَن إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون. وفيه تقريعٌ وتوبيخٌ هما من جملة عذابهم، وإلّا لزُجّوا فيها مباشرةً مِن دونِ توجيه الأمر إليهم، فلِكلّ جماعةٍ بابُها الَّذي تدخلُ منه إلى منزلها المُعَدِّ لها في جهنَّمَ، كما يقول اللّه سبحانه: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: 44][2].

لطيفةُ إسنادِ الدُّخولِ إلى الكفّار:

الإيماءُ إلى فِقْدانِ الاختيارِ بدخولِ أبوابِ النّار

لا يدخلُ أحدٌ أبوابَ جهنَّمَ مِن تلقاءِ نفسه إلّا مضطرًّا مجبورًا على دخولها، والأمرُ صادرٌ ممَّن إذا أراد شيئًا فإنَّما يقولُ له: كن فيكون، فإسنادُ فعل الدّخول إليهم في جملةِ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ يَعكِسُ ما يتجرَّعونه من الخوف، وما يرون هنالك من أسباب الاضطرار والضَّغط؛ بحيث يَدخُلون بأنفسِهم أبوابَ جهنَّمَ.

يُضافُ إلى ذلك أنَّ إسنادَ دخول هذه الأبواب إلى ضميرهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 206.
(2) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 12/ 1270.

يُذكِّرُ باختيارِهم أسبابَ الدُّخول؛ حتّى كأنَّ دخولَهم إيّاها بمحضِ إرادتهم، وأنّهم يفعلونه اختيارًا، فهو باعتبارِ ما سيكون من وُلوجِ النّار، لا باعتبارِ إرادة الفعل.

دلالةُ جمعِ ﴿أَبۡوَٰبَ﴾:

أبـوابُ النّـارِ مـعـدودة، وأجزاءُ داخِليها مقسومة

وَرَدتْ كلمةُ ﴿أَبۡوَٰبَ﴾ بصيغةِ الجمعِ إشارةً إلى عددها المحدَّد في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ [الحجر: 44]، إلّا أنْ يُرادَ بالعددِ ﴿سَبۡعَةُ﴾ [الحجر: 44] الكنايةُ عن كثرتِها جريًا على عادة القرآن الكريم في استعمال هذا العددِ الَّذي لا يَعلَمُ سرَّه إلّا الله تعالى، وفي ذلك إشارةٌ إلى سَعَتِها سَعةً تكفي لأكثرِ النّاس، وإنَّ أكثرَ النّاس عن الحقِّ لناكِبون.

بلاغةُ الكنايةِ في استعمالِ لفظِ الدُّخول:

دخـولُ أبـوابِ جهـنَّمَ مقدّمةٌ موحيةٌ بإعدادِ النّار وتَهْيِئَتِها

الأمرُ بدخول أبواب النّار في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ "كنايةٌ عن الكون في جهنَّمَ؛ لأنَّ الأبوابَ إنّما جُعلت ليُسلَكَ منها إلى البيتِ ونحوه"[1]، فدخولُ أبواب الشّيء دليلُ دُخولِه وتجاوُزِه إلى داخله، فالمقصودُ بأبوابِ جهنَّمَ جهنَّمُ نفسُها؛ بقرينة الخلود فيها. وفي التَّعبير بدخولِهم أبوابَ جهنَّمَ دون التّصريح بدخولها نفسِها إشعارٌ بفظاعةِ خَطَرِها؛ إذ كان دخولُ أبوابِها عقوبةً تُكافِئُ شِرْكَهم، فكيف بدخولِها نفسِها؟ فهو يَطوي من العقاب ما لا يُتَصوَّر.

بلاغةُ المجازِ في استعمالِ لفظ الأبواب:

قـيَـمُ الـهـدايـةِ مـبـثـوثـةٌ في التَّرهيبِ كما هي في التَّرغيب

البابُ نفسُه لا يُدخَلُ، وإنّما يُدخَلُ ما وُضِع له البابُ، وقولُهُ تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ يرادُ به دخولُ جهنَّمَ، وذكرُ الباب مجازٌ مرسلٌ علاقتُهُ الجزئيّة، حيث أطلَقَ الجزءَ وأراد الكلَّ، أو الحالّيَّة، حيث أطلق الحالَّ في مداخلِ جهنَّمَ - وهو الباب - وأراد محلَّ الدُّخول، ونكتةُ ذلك الإعلامُ بوجودِ أبوابٍ لجهنّم، يكون الدُّخول منها أمرًا، ولا يخرجُ أحدٌ إلّا بأمر الله تعالى، ففيه مزيدُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 206.

عذابٍ نفسيٍّ؛ إذ عندَ علمِ استحالة النّجاة يقعُ العبد في اليأس والعجز؛ فيُقبِلُ على تخليصِ نفسِه - إنْ كان عاقلًا - من مداخلِ العذاب وأسبابِه.

نكتةُ التّعبير باسم الفاعل:

دخولُ الكافرين أبـوابَ جهنَّمَ مقدَّرٌ بِخُلودهم فيها

جاءَ التّعبير باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وهي حالٌ مقدَّرةٌ من الفاعل، وهو ضميرُ الجماعة في جملة ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾، وهم مُخَلَّدون فيها راغِمين، لا خالدون فيها راغبين؛ لكنَّهم لمّا استوجبوها بأعمالِهم الَّتي اختاروها أحرارًا مختارين كانوا كأنَّهم يَخلُدون فيها مُختارين الخلودَ فيها برغبتهم، وفي ذلك تنبيهٌ لهم وتحذيرٌ قد يرُدُّهم عن كفرهم.

نكتةُ تقييدِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجارِّ والمجرور:

جهنَّمُ واسعةٌ عميقةٌ سحيقةٌ لا قرارَ لقَعْرِها

قُيِّد خلودُ المشركين في جهنَّمَ بالجارِّ والمجرور ﴿فِيهَاۖ﴾؛ ليقتضيَ تغلغُلَهم في أعماقِ أوديةِ جهنَّمَ، ومكابدتَهم صنوفَ العذاب في أحشائها، وقد صارتْ ظرفًا يشتملُ عليهم، وهم يتلظّوْن ﴿فِيهَاۖ﴾، والعياذُ باللّه من العذاب كلِّه.

كما أنَّ الجارَّ والمجرور ﴿فِيهَاۖ﴾ يوحي بأنَّها واسعةٌ عميقة سحيقةٌ؛ بحيث يَهوي ﴿فِيهَاۖ﴾ الكفّار هويًّا سحيقًا؛ اتِّساقًا مع قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: 30 - 32].

نوعُ (الفاء) ودلالتُها:

عاقبةُ التَّكبُّرِ عن طاعةِ الله ذميمة

(الفاءُ) في جملةِ ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ تفريعيَّةٌ على ﴿خَٰلِدِينَ﴾، حيث فرَّعَتْ ذمَّ مَثوى المتكبرين على خلودِهم في جهنَّمَ بعدَ وُلوجِهم أبوابَها واستقرارِهم في أعماقها.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ (بئس) بصيغةِ التَّذكير:

(بئس) فعلٌ يدلُّ على الذَّمِّ، والمخصوصُ بالذَّمِّ هنا محذوفٌ

وهو (جهنَّمُ)؛ وهي مؤنَّثٌ بدليلِ عَوْدِ الضّمير المؤنَّث عليها في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾؛ فكان حقُّ الفعل (بئس) - في الظّاهرِ - أن يتَّصلَ بتاء التّأنيث، لكن "لم يتَّصلْ فعلُ (بئس) بتاء التّأنيث؛ لأنَّ فاعله في الظّاهر هو ﴿مَثۡوَى﴾؛ لأنَّ العبرةَ بإسناد فِعل الذّمِّ والمدح إلى الاسم المذكور بعدهما، وأمّا اسم المخصوص فهو بمنزلةِ البيان بعد الإجمال، فهو مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ، أو خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ؛ ولذلك عُدَّ بابُ نِعم وبِئس مِن طُرُق الإطناب"[1].

العبرةُ في بابِ المدحِ والذّمِّ إسنادُ فِعْلِهما إلى المذكورِ لا المقدَّرِ المخصوص

نكتةُ حذفِ المخصوصِ بالذّمِّ:

حُذِف المخصوصُ بالذَّمِّ في جملة ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ لأنّه يدلُّ عليه ذِكرُ جهنَّمَ في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾؛ أي: فبئس مثوى المتكبِّرين جهنَّمُ[2]. ويُلمَحُ في حذفِ المخصوص بالذَّمِّ ﴿جَهَنَّمَ﴾ وطَيِّه من الذِّكر دعوةٌ إلى التّوبة، وتلويحٌ بفتْح باب الرّحمة لَمن أدرك فرصةَ وجودِهِ هنا في الحياة الدّنيا فرجَعَ إلى الحقِّ؛ فما أرحَمَ الرَّحمنَ الرَّحيمَ! ﷻ.

دعوةٌ للتّوبة، وتلويحٌ بفَتْحِ بابِ الرَّحمة

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ ﴿مَثۡوَى﴾ دون (مَدْخل):

المَثْوى: هو المستقَرُّ ومحلُّ الثَّواء، والثَّواء: الإقامةُ الدّائمة، وأوثر لفظُ مثوى دون (مدخل) المناسبِ لـ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ﴾؛ لأنَّ المَثوى أدلُّ على الخلود؛ فهو أولى بِمَساءتهم[3]، وأشدُّ تخويفًا لهم ولغيرهم في باب التَّهديد والوعيد، ودلَّ لفظ الخلودِ على الثَّواء الدّائم؛ فجاء التّركيبُ: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾، فكان العدولُ عن (فبئس مدخلُ المتكبِّرين) لأنَّ نَفْس الدُّخولِ لا يَدومُ ولا يَستلزِمُ الخلودَ، فلم يُبالَغْ في ذمِّه، بخلاف الثَّواءِ الدّائم[4] المناسبِ لِلَفْظِ الخلود؛ فلذلك

مخالفةُ مقتضى الظّاهرِ لموافقةِ مقتضى الحالِ مِن دقيقِ التَّعبير وجزالةِ اللَّفظ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 207.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 207.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 207.
(4) أبو حيان، البحر المحيط في التّفسير: 9/ 273.

أوثِر في الذَّمِّ ذِكرُ الثَّواء على الدّخول. على أنّ الخلودَ لا يكون مُقارِنًا للدُّخول، وإنما يكون لاحقًا بعدَ الدّخول؛ لذلك كان المعنى: "خالدين فيها مُقدَّرًا خلودُكم فيها"[1].

كما أنَّ من أسباب العدول انتقالَ الكلامِ عن ذكر الأبواب إلى ذكر جهنَّمَ نفسِها، وذلك من خلال تقييد ﴿خَٰلِدِينَ﴾ بالجارّ والمجرور ﴿فِيهَاۖ﴾، ومن المعلوم بداهةً أنَّ الكافرين لا يُخلّدون في أبواب جهنَّمَ، بل يخلَّدون في أعماقها وسحيقِ أوديتِها، الَّتي جاء الخبر فيها: «إنَّ الحَجَرَ لَيَزِنُ سَبْعَ خَلِفاتٍ[2] يُرْمَى بِهِ في جَهَنَّمَ، فيَهْوي سَبْعينَ خَريفًا، ما يَبْلُغُ قَعْرَها»[3].

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ التَّكبُّر:

الكِبْرُ علَّةُ الكفرِ وداعيةُ الشِّركِ وأصلُ الدّاء

استعمل النّظمُ الكريم مفردة التّكبُّر في جملة الذّمِّ: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ التّكبُّر مذمومٌ عند الله تعالى، وعلى أنَّه من أكبرِ الجرائم الَّتي تستحقُّ الذّمَّ، وأنَّه داعيةُ الجدالِ في آيات الله تعالى، والتَّكذيبِ بالكتابِ وبما أرسل الله تعالى به الرُّسُل ﷺ، وأنَّه بوّابة الكُفر؛ فيؤدّي بأصحابه إلى المثوى الذّميم، فانتقى وصفَ التّكبُّر دون الشّرك أو الكفر؛ للنَّصِّ على العلّة الدّاعية لهما، وأنَّ الكبر أصلُ كلِّ ذميمٍ، ولا علاجَ له إلّا النّار.

معنى تعريفِ لفظِ ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾:

كلُّ متكبِّرٍ لا يُؤمِنُ بيوم الحساب فموعدُه جهنَّم

جُمع لفظُ ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ وعُرِّف بـ(أل) لبيانِ استغراق أفراد الجنس، وهي تقضي بأنَّ جميع المتكبِّرين داخلون في الوعيدِ؛ ففي الحديث القدسيِّ قالَ اللّه ﷻ: «الكِبْرياءُ رِدائي، والعَظَمَةُ إزاري، فمَنْ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 285.

(2) "عن الأَصْمَعِي: ناقةٌ عاقِدٌ تَعْقِدُ بِذَنَبِها عِنْد اللِّقاحِ، فَإِذا ثَبَت اللِّقاحَ وهوَ حَمْلُها فَهِيَ خَلِفَة، جمعُها خَلِفات"، ينظر: ابن سيده، المخصص، كتاب الإبل - حَمْل الإبل ونَتاجها.

(3) الطبراني، المعجم الكبير، بابُ الباءِ، بُرَيْدَةُ بْنُ الحُصَيْبِ الأَسْلَمِيُّ يُكْنَى أَبا عَبْدِ اللهِ: 2/ 21، برقم: (1158).

نازَعَني واحِدًا مِنْهُما قَذَفْتُهُ في النّارِ»[1]، و"المراد بـ ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ هنا هم المخاطَبون ابتداءً؛ لأنَّهم جادلوا في آيات الله تعالى عن كِبْرٍ في صدورهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: 56]، ولأنَّ تكبُّرهم مِن فَرَحهم"[2]، وهؤلاء المجادلون المكذِّبون تكبَّروا على الرَّسول ﷺ، بل حَمَلَهم الكبرُ والحسد على منازلته ما استحقّوا به الذَّمَّ والوعيد.

نكتةُ العدولِ عن ضميرهم إلى ذكرهم بوصف التَّكبُّر:

لـكـلِّ مـتـكـبِّرٍ نصيبٌ من النّار ولو كان من أهلِ الإيمان

آثر النّظم الكريم ذكرَ المشركين بإظهارِ أحد أوصافهم - وهو التّكبُّر - دون الإضمار، حيث إنَّ مقتضى الظّاهر أن يُقال: (ادخلوا أبواب جهنَّم خالدين فيها فبئس المثوى مثواكم)، لكنَّ النّظم الكريم عدل إلى الاسم الظّاهر ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ وذلك للإيماءِ إلى أنَّ من "أسباب وقوعهم في النّار تكبُّرَهم على الرّسل، وليكونَ لكلِّ موصوف بالكبر حظٌّ مِن استحقاقِ العقاب إذا لم يتُبْ ولم تَغلب حسناتُه على سيِّئاته إنْ كان من أهل الإيمان"[3]، وللانصراف عن مخاطبتهم، وإشعارهم بعدم أهليَّتِهم للخطاب؛ فجاء بالوصف المتضمِّن الغَيْبةَ، وللنَّصِّ على موجِبٍ خطيرٍ من موجِبات معاقبتهم بهذا المصير الذَّميم، وهو التّكبُّر الَّذي حالَ بينهم وبين الإيمان، إلى ما في التّكبُّر من انتحال صفةٍ هي لله تعالى خالصةً، لا يجوز لأحدٍ أن ينازعه فيها؛ لقول الله ﷻ في الحديث القدسيِّ: «الكِبْرياءُ رِدائي، والعَظَمَةُ إزاري، فمَنْ نازَعَني واحِدًا مِنْهُما قَذَفْتُهُ في النّارِ»[4]، وللإشارةِ إلى مَن يتّصف بهذه الصّفة من عصاة المؤمنين؛ ليحذروا العناد عليها، ويتّجهوا إلى التّوبة الصّادقة.

(1) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، بابُ ما جاءَ في الكِبْرِ: 4/ 59، برقم: (4090).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 207.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 207.
(4) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، بابُ ما جاءَ في الكِبْرِ: 4/ 59، برقم: (4090).

دلالةُ التّعبير باسم الفاعل:

الكبرُ مَتغلغِلٌ في نفوسِ الكفّار متمكّنٌ منهم

في صياغةِ ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ اسمَ فاعلٍ إشارةٌ إلى تغلغُلِ الكبر في نفوس كفّار قريش، وأنَّ الكِبر تمكَّن منهم، وصار صفةً لازمةً قائمة فيهم، وفي ذلك تلويحٌ بمصيرهم الذّميم؛ ممّا قد يزجُرُهم عن الكبر، وعن التَّجرُّؤِ على الحقِّ. وتلك حقيقةٌ ثابتة؛ يدلُّ عليها اختصاصُ أغلبِ مواضعِ وصف العذاب بالمُهين في الذّكر الحكيم بكفّار قريش، وتلك ظاهرةٌ قرآنيَّةٌ تتَّسِقُ مع ما كان لهم من أنفة وكبرياء كان الملائمُ لعقوبتهما توعُّدَهم بالعذاب المُهين[1].

لطيفةُ حذفِ متعلّق ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾:

التَّكبُّرُ بالإطلاق مذمومٌ على الإطلاقِ

حُذِفَ متعلِّق لفظِ التّكبُّر في قوله تعالى: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾؛ لأنَّه معروفٌ مفهوم من السّياق، وتقديرُ الكلام قبل الحذف: "مَثْوَى المُتَكَبِّرينَ عن الحقِّ، المستخِفّين به"[2]، "المتكبِّرين عن الإيمان"[3]، فضلًا عمّا يوحي به حذفُهُ مِن عموم الذَّمِّ جميعَ مَن فيه تكبُّرٌ، سواء كان تكبُّرًا على الدّين، أو تكبُّرًا على أحدٍ من النّاس، أو تكبُّرًا عن كلِّ حقٍ تبيَّنَ له، أو غيرَ ذلك مِن صنوف التّكبُّر.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

المثوى والمأوى:

المَثْوى مكانُ الإقامةِ والمُستقَرُّ، والمَأوى مكانُ الإيواءِ بلا قيدِ الإقامة

الثَّواء: الإقامةُ مع الاستقرار، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾ [القصص: 45]، وقال: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ [الزُّمر: 60]، وقال: ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [الأنعام: 128][4]. فالمَثْوى مكان الإقامة والمستقرّ.

(1) يراجع في هذا بحث: (من وجوه الملاءمة بين المقال والمقام في وصفَيِ العذاب «المهين والأليم» في الذّكر الحكيم) للدكتور أحمد محمد محمود سعيد، وهو بحثٌ منشور في مجلة قطاع كليات اللُّغة العربية والأقسام المناظرة لها - جامعة الأزهر الشّريف بالقاهرة عام 2008م.

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 4/ 179.

(3) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 214.

(4) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (ثوى).

والمَأوى مصدرٌ: أوَى يَأْوِي أويًّا ومَأوًى، قال ﷻ: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: 10]، وقال تعالى: ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النّجم: 15]، وقوله تعالى: ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران: 197] اسمٌ للمكان الَّذي يأوي إليه[1].

وممّا تقدَّمَ يتبيَّنُ: أنَّ المثوى يُذكَرُ على سبيل الاستقرارِ والإقامةِ الدّائمة، أمّا المأوى فقد يُراد به الدَّيمومةُ وقد يُراد به المكثُ فترةً ثمَّ الانتقالُ إلى غيره، وهذا سببُ إيثارِ لفظةِ المثوى هنا.

الفرح والمرح:

الفرحُ قد يكون بحقٍّ فيُحمَدُ عليه، وقد يكون بالباطل فيُذَمُّ عليه، والمرحُ لا يكون إلّا بالباطل، ويُبَيِّنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ حيث قيَّدَ الأوَّلَ بغير الحقِّ، وأطلَقَ الثّانيَ فلم يقيِّده[2]، والفرحُ انفعالٌ داخليٌّ، والمرحُ طَرَبٌ ظاهريٌّ، والمرحُ: "الفرح الشّديد، الَّذي يصحَبُه عبثٌ ولهو"[3]، وفي "الفرح: السّرور، وفي المرح: البطرُ، فَسُرّوا بالإمهالِ وبَطِروا بالنِّعَم"[4]، وفي "الفرح: الشِّرك، وفي المرح: العُدوان"[5]، "والفرح: المسرَّةُ ورضا الإنسان على أحواله، فهو انفعال نفسانيّ. والمرح: ما يظهر على الفَرِح من الحركات في مشيه ونظره ومعاملته مع النّاس وكلامه وتكبُّره، فهو هيئةٌ ظاهريَّة"[6].

الفرَحُ انفعالٌ قلبيٌّ وروحيٌّ مستور، والمَرَحُ مَظهَرٌ بدنيٌّ منظور

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (أوى).
(2) العسكري، معجم الفروق اللُّغويّة، ص: 492.
(3) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 12/ 1270.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 165.
(5) الكرماني، لباب التّفاسير، ص: 2630.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 24/ 206.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»